تصلح ان تكون اداة للاعلام العربى فى مواجهة التقدم الفنى الهائل ، وانطلاق وسائل الاتصال بالجماهير .

ذلك ان العربية قد اصيبت فى عصور الانحطاط بمرض العموم والغموض والابهام ، كنتيجة لافتقاد وظيفها الهادفة فى هذه العصور ، فضاعت الفروق الدقيقة بين الالفاظ المتقاربة فغدت مترادفة وكثر استعمال « الالفاظ فى المعانى المجازية وصرفت عن معانيها الاصلية فضاع الفكر بين الحقيقة والخيال وزالت الخصائص المميزة والفروق الفاصلة واصبح لكل موضوع مهما تكرر قوالب من اللغة ثابتة واداة من اللفظ لا تتغير مصوغة لكل مناسبة او موضوع تنقل وتلحق كلما تكررت تلك المناسبة او عرض ذلك الموضوع فاذا كان الموضوع وصف حديقة او تعزية صديق او التعبير عن فرح او طرب لم يتغير الكلام ايا كانت تلك الحديقة وفى اى بلد وايا كانت مناسبة التعزية او الفرح (98) . وفى ذلك قتل لخصائص اللغة العربية ومزاياها الاعلامة من ابراز المقومات والمزايا الخاصة والدقائق الخفية .

على ان اللغويين ايام ازدهار اللغة ، كانوا يدركون هذه المزية من المزايا العربية ، فعنوا بابراز الفروق بين الالفاظ فى مؤلفات خاصة لكتاب الفروق « لابى هلال العسكرى وابواب الفروق من كتاب ادب الكاتب لابن قتيبة والقسم الاول من « فقه اللغة واسرار العربية » للثعالبى .

كما كان كتاب العربية ، يحرصون على هذه المزية الاعلامية فى لغتهم ، فيضعون الالفاظ فى مواضعها ويحرصون على دقة التعبير ، فكان الجاحظ يستعمل الالفاظ التى تتخصص مدلولاتها بها لا تتناول سواها بقدر ما تسمح له اللغة بذلك فاذا ذكر آلة او اداة او طعاما او لباسا او شيئا من هذه الاشياء المادية ذكرها باسمائها الخاصة وفرق هذا التخصيص بين انواعها المختلفة فمن ذلك الشبوطة والجوافة والشلقة لضروب من السمك ، والجمفرية لضرب من السفن ، والسرجة والمصباح والقنديل ما يستصبح به ، والصمام ما تسد به القوارير ، والكباح للعامل الذى ينظف المثاعب والمجارى ، والشارع للسكة الكبيرة . والرائع للطريق الضيقة بين المنازل (99) ، الخ .

ونجد مثل هذه الدقة فى الوصف عند كثير من كتاب العربية فى مختلف العصور ، ولا سيما فى القرون الاربعة الاولى بعد الاسلام ومن هؤلاء : عبد اللطيف البغدادى (557 هـ — 629 هـ) فقد كان دقيقا فى ملاحظته وتعبيره فى رحلته الى مصر التى سماها « الافادة والاعتبار » فقد وصف فيها نباتات مصر وحيواناتها وآثارها وصفا ينبعث فى الانسان الدهشة والتعجب فمن ذلك قوله فى وصف البامية : « وهى ثمر بقدر ابهام اليد ، كانه جراء (100) القثاء ، شديد الخضرة ، الا ان عليه زيبرامشوكا ، وهو مخمس الشكل ، يحيط به خمسة اضلاع ، فاذا شق عن خمسة ابيات بينها حواجز وفى تلك الابيات حب مصطف ، مستدير ابيض اصغر من اللوبيا ، هش ، يضرب الى الحلاوة وفيه قبض ولعابية كثيرة (101) » .

بهذا الاسلوب البسيط الدقيق فى كلماته وصف البغدادى فى رحلته هذه اكثر ما شاهده فى مصر من النبات والحيوان ومعالم العمران والآثار القديمة وانما كانت دقة الوصف من استعمال الالفاظ المطابقة لمعانيها الدقيقة فى دلالتها .

وهذه الخاصة الوظيفة للغة التى استخدمها كتاب العربية خير استخدام ، جعلت علماء الصحافة والاعلام يذهبون الى ان الجاحظ — وهو من كتاب القرن الثالث الهجرى — بان يكون اول صحفى ممتاز او انه عاش فى القرن الذى نعيش فيه . يقول الدكتور ابراهيم امام : (102) . « يمكن النظر الى ادب الجاحظ فى مجموعه على انه ادب تتوفر فيه الكثير من خصائص الفن الصحفى لقد كان الجاحظ رجلا شديد الانغماس فى المجتمع ، وهو فى الوقت نفسه غزير الانتاج الى درجة تلفت النظر ، وانتاجه وثيق الصلة بالافكار فى تلك البيئة العباسية من دين وسياسة وثقافة وعادات

---

(98) محمد المبارك : خصائص العربية ص 62 .
(99) محمد المبارك : فن القصص فى كتاب النجلاء للجاحظ — ص : 38 .
(100) جراء جمع جرو الصغار من كل شئ .
(101) عبد اللطيف البغدادى فى مصر . مطبعة المجلة الجديدة بالقاهرة — ص 20 .
(102) دراسات فى الفن الصحفى — ص : 33 .